

# أدين للوحدة بالكثير

نصوص



أميمة عبد الشافي

دوطة  
SEFSafa PUBLISHING HOUSE  
WWW.SEFSafa.NET

# أدين للوحدة بالكثير

أميمة عبد الشافي

أميمة عبد الشافي/ مواليد ١٩٧٩، خريجة جامعة الأزهر، كاتبة تعمل وتعيش بالإسكندرية، وفاعلة ثقافية مهتمة باللغة والنقد والتعليم البديل، نشرت مجموعة قصصية (بعض ما يعرفه الجميع) ٢٠٠٩، وشاركت في مطبوعات منها: تجربة وكتاب (الكل) ٢٠٠٤، (فقط سويا) مجموعة مشتركة ١٩٩٩، ديوان الأمومة ٢٠١٧، أناشيد الغيمة المارقة - شعراء الموجة الأحدث في قصيدة النثر المصرية/ أنطولوجيا شعرية ٢٠١٩.

في الذكرى الرابعة  
لرحيل عزيز  
نبكي،  
لا حزنًا على الفراق فقط  
لكن خجلًا أيضًا  
من الجدران البيضاء  
لقلوبنا التي كانت مكلومة  
في القريب،  
تحرقنا الدهشة من هروب الدموع!

\*\*\*

من  
ذلك الفاجر  
الذي وضع كل ذكرياتنا معهم  
في براويز متناسقة جدًا  
ووزعها بأناقة  
على الحوائط البيضاء!؟

الصمت

صديقي المراوغ الجديد

يكتفي بنكري كلما حاولت فتح فمي وإصدار الأصوات التي استخدمتها طويلاً

لمسة طيبة يتركها في سقف حلقي، فأراجع

أغلق شفتي على طعم المتعة الطفولية في اختبار شيء جديد

هي في الواقع خبرة قديمة

لكننا ننساق وراء مهارتنا التي اعتدناها بكل هذا الاستهتار

وننسى أننا قد نفقدنا مؤقتاً أو إلى الأبد.

أختبر الصباح وحدي  
 الشوارع المغسولة  
 عربات الترام المسرعة كأنها تنتقم من كل العطلة التي تقابلها يومياً واختناقات سيرها بين  
 السيارات  
 واجهات المحلات الموصدة  
 قطع الأثاث المرصوفة على جانبي الشارع، وأوراقها المتطايرة في الأرض  
 باعة الحيوانات الأليفة وهواة التربية الذين يتوافدون من ميدان المحطة حاملين الأقفاص الخشبية  
 والملونة  
 الجراء التي فطمت من الرضاعة لتوها وخرجت في نزهة قد تمتد لعمرها بأكمله  
 الصباح بدون صحبة أو كلام  
 مغلفاً بصمتي  
 وألم الحنجرة  
 ونشوة في قلبي لا أستطيع إخفاءها  
 سعادة الأشياء البسيطة التي جلبها السكوت  
 كتابة تشعرني بالحياة  
 قراءات سريعة على شاشة الكمبيوتر  
 مهام صغيرة أؤديها هنا وهناك  
 أتذكر واجبات نسيتهما فأتهمها سريعاً

\*\*\*

الصباح  
 اكتشاف قديم  
 نخبره وننساه لنعيد الانتشاء به كأنه يأتي للمرة الأولى  
 خبرة تعلمناها من صباحات العيد  
 من قلوبنا الصغيرة التي تعلمت أن تتربح شهراً، يتأكل فيه صبرها حتى تأتي ليلة العيد، فتنام  
 محتضنة عدة الصباح، وتنتفض عند أول تكبيرة في كامل الصحيان والاستعداد والفرح  
 الفرحة الذي نشمه في الصباحات الباكرة فقط  
 وينسحب تدريجياً بنهاية اليوم والأيام  
 فنترقب عيداً جديداً  
 وصحبة جيدة  
 ونصاً كل صباح.

أخبار الصباح المؤلمة  
وما تجلبه من كسر للنفس  
خبرات لا نحرص على تعلمها  
لكنها تأتينا  
حادة ومدببة  
تخترق القلوب مباشرة  
وتزلزل معتقداتنا بأننا قد اختبرنا الألم بكل صورته  
سنوات وما زالت الخسارة ممكنة  
في كل مرة تطاردنا  
كمفاجأة غير متوقعة  
تجعلنا نكره قدرتنا على اكتشاف الوجد  
ونرغب في البكاء كالأطفال.

بهدوء عادي أودع الأصدقاء  
أو تحديداً  
مساحات الود في علاقات الصداقة  
تلك التي لا تدوم طويلاً  
بينما نحن نعول عليها دائماً  
نتصيدا ونمنحها كل ما تحتاجه  
ليطول عمرها ساعات أو أياماً  
غير أنها ككل الكائنات الهشة  
تنتهي سريعاً  
حتى إنني قررت مؤخراً  
أن أحتفل بذكرى مرورها كل أسبوع  
وربما كل يوم  
أعمارها القصيرة جداً  
جديرة بالتذكر  
لكنني أكتشف الآن  
أننا لا نستطيع الإمساك بسعادة في الذكرى  
عندما نستعيد أي لحظة يتمكن منا الحزن على رحيلها  
وتطاردنا الأفكار بشأن النهايات التعيسة..

اضطراب الهرمونات  
 قلق ووجع متكرر  
 نكتشف معه هؤلاء الذين يعيشون بداخلنا  
 جيران الجسد الذين لا نهتم لأمرهم في الغالب  
 نُسكت صوتهم غالباً  
 وندّعي عدم وجودهم بالمرّة!  
 إلا أنهم يعبرون أبواب زنازينهم المحكمة في لحظات الارتباك التي تضرب أنظمتنا الجاحدة.

\*\*\*

أدعي  
 أن النساء كائنات أرحب  
 يتحملن كل من يسكنون جسدهن تباغاً  
 يُرضين كلاً منهم بالقليل على حساب أدمغتهن  
 حتى الأجنة  
 تلك الكائنات الطفيلية  
 التي تلتهمنا ببراءة مدوية  
 نتحملها، ونحبها أيضاً،  
 لأخريات نصيب مني دائماً  
 أيام بالكامل أتنازل فيها عن إدارتي لهن  
 يهرولن فرحات بالحرية  
 يتكلمن في لحظة واحدة حتى أفقد السمع وأجن  
 ثم يبكين معاً، ويبللن أجزائي حتى يفسد عقلي من ملوحة الدموع فأصرخ فيهن بهيستريا ليتوقفن  
 نحترض بعضنا بعضاً  
 ثم أحكم إغلاق الأبواب عليهن ثانية  
 أرتد إليّ  
 ممتة للحظات الاختلاف  
 التي تواسيني في وحدتي.

## الحياة الطازجة

تلك التي جمعوها لتوهم من الحقول  
 رصوها بعناية فائقة على أقمشة جافة ومغسولة  
 ثم نقلوها حيث يتم تعبئتها بحرص شديد داخل أغلفة السوليفان  
 أقول لك

تلك الحياة الطازجة

هي متعتي الخاصة

أستطيب طعمها، وتملؤني نشوتها بالسعادة الكاملة  
 ربما يزيد ثمنها قليلاً عما نستطيع توفيره بشقاء بالغ في نسختنا المعلبة من الحياة  
 تلك التي تُصرف لنا مجاناً عندما نولد  
 ويُسمح لنا فيها بالتجول داخل أغلفة الكارتون المقوى التي تحجب الرؤية  
 لكنها تحافظ على صلاحية الحياة لعمر أطول  
 كما أنهم يزينون سطحها الخارجي جيداً بالألوان المبهجة،  
 لكنني قد أحتاج إلى واحدة طازجة من آن لآخر  
 أعرف أن هذا قد يكبدنا الكثير  
 الكثير فعلاً

لكنني أطمئن إلى تفهمك البالغ لحاجتي إلى التنفس  
 ورؤية الحياة من بين جنبات الغلاف الشفاف حيث نلتقط التفاصيل؛  
 التفاصيل بالغة الصغر والدقة التي تملأ رئتينا  
 وتمنحنا القدرة على الاستمرار  
 أريد فعلاً أن أعتزل حياة المدن  
 وأعيش بجوار براعم الحيوانات الخضراء  
 أرها حتى تنمو فأجمعها بعناية فائقة  
 وأرصها على الأقمشة المغسولة  
 وأقتطع لنفسي منها مؤونة كافية  
 حتى ينمو محصولي التالي.

الليل كائن ثقيل  
وأنا أبحث عن الكتابة  
أناقش كل كلمة تخطر في بالي فلا أجد واحدة تصلح كبداية  
أدور على قائمة الأصدقاء بحثاً عن الإلهام  
أراجع محادثات قديمة فلا أجد غايتي  
أفكر أن الإسكندرية مدينتي الأحب  
وأنها بانسة إلى حد بعيد  
ليلها يعوق التنفس  
وبحرها صار ذكرى بعيدة  
بينما ما زلنا نغرق في نرجسيتها الفاتنة  
نحارب الحنين ونرفضه  
لكننا نمارس التعالي كسلوك يومي ضد الغرباء  
وباتساق مشروخ نحيا بين عنصريتنا وترحابنا الوهمي  
نقول إن الليل كائن ثقيل  
وإننا مخلوقات صباحية  
وإن البحر للجميع  
وإن الإسكندرية لنا وحدنا  
نغار عليها كأمر  
ونختنق من زيفها كعشاق مرفوضين  
ونطلب الإبحار بها في المتوسط  
كمحاولة أخيرة لردّها إلى صورة لم تعرفها قط  
وتوجد في رؤوسنا فقط  
لكننا في النهاية  
نفقد الكتابة، ونكفر بالمدينة.

• إلى ماهر شريف

الصور

لحظات ثابتة من أعمار ذاكرتنا

نختار لها وضعيات مميزة

ونضع بها أكبر قدر من بهجاتنا الصغيرة

يظهر الآخرون في صورنا كصحبة سعيدة دائماً

تمنحهم الصور أبعاداً متخيلة

كحياة قصيرة قصصنا شريطها عند المنتصف بالضبط

عند لحظة لا ترتبط بشيء سوى نفسها،

عندما نرى الصور

نتخيل بداية ونهاية لحياتها تنسج بالكامل من اللحظة المثبتة أمامنا

يشبه الماضي والمستقبل فيها جناحين ينبتان للحظة في الهواء

هما فقط يحملانها، ويكملان جسدها المبتور لتكون أكثر تأثيراً فينا.

عندما تتوه الصور من ملاكها

نراها بمعزل عنهم

وننشئ لها خيالاتها الخاصة

لا يقيدنا فيها وجود حقيقي لأي ذكرى

ونكتشف حياة لم توجد في الواقع مطلقاً

نمتلك ساعتها حيوات كاملة، لا مجرد لحظات ثابتة.

أنشغل طويلاً بصوري وصور من أحبهم

أتخيلها عندما تستقل عني

وتسبح في فضاءات افتراضية فيراها بشر لا تربطني بهم أي صلة

يحاولون أن يرسموا حياتي الخيالية

تلك التي لن أحصل عليها قط

فأشعر بغيرة شديدة

كيف أن للصور هذه الحرية في تجريب حياة ونفضها وتجريب أخرى بهذه البساطة

الموجعة، بينما نحن نتصور أننا نسجن لحظاتها بها؟!!!

كانت فرصة لطيفة فعلاً  
أن تقابل أحدهم في زحام المدينة  
فتهيئه تحية عابرة وتمضي  
ثم تشعر أنك تريد أن تقول كلمة أخرى بعد التحية  
تهرول في اتجاهه  
وعندما تصل إليه أخيراً  
تلتقط يده الممدودة وتربت عليها بحنان قائلاً:  
«كانت فرصة لطيفة فعلاً».  
ثم تلتفت لتذوب في الزحام وأنت تؤكد لنفسك  
أنها كانت لطيفة فعلاً!

السعادة باب مغلق على أصابعنا

نحن نساء الأرض الجاحدة

نسأل كل يوم عن حقنا في الحياة

ونراجع أولويات بسيطة بتعسف شديد

كأنها كتب في علم الرياضيات البحتة

من قال إن العالم مكان قاسٍ؟

صباح الجمعة يخصك وحدك  
أنت كـرغبة طفولية مجلجلة في استغلال الوقت حتى الثانية الأخيرة منه  
لن يفلت مني أي صباح  
سأرتب أيامي لاستخدام الصباحات في كتابات مبهجة  
سأستبعد منها ما يزعجني  
صوت عربات الترام عندما لا تجد موطنًا لعجلاتها المعدنية بين زحام أجساد السوق الغارقة في  
الرطوبة والفصال بين الباعة والمشتريين  
السماعات التي تطلق في وجهنا التلاوات المبكرة كتعبير جاف عن إيمانهم في صباح الجمعة  
شجار السائقين بينما يحاول كل منهم الفوز بزبون الصباح النادر  
نداءات (المنشية...بحري) التي تستحضر لذهني رائحة البحر، وزحام شارع السبع بنات بينما  
أحاول العبور باتجاه تمثال محمد علي لأشعر بالنجاة  
باعة (التين الشوكي) الذين يظهرون كهدية لي، ويملؤون شهريّ الصيف بطعم الفاكهة الحلوة  
المغلقة بالألم  
تهددك بقشرتها الخارجية من وجع دائم ومتناثر في يديك، بينما تهديك منحة من السعادة عندما  
تصل إلى فمك  
تفكر أن الجمال حيوانات محظوظة، وأن صباحك السكندري مميز رغم كل شيء  
وأنت ستكتفي من النوم بهذا القدر  
وستسرع لاكتشاف صباح جديد  
ربما يبعث لك بهدايا جديدة.

تربكني المحبة  
 خاصة في الصباح!  
 تأتيني كطوفان  
 أشعر معه أن قلبي يطفو على سطح الماء معلقاً يديه في الهواء بحرية  
 تنفتح مسام الإحساس على اتساعها  
 تلتقط كل إشارة منك  
 يعمل جسدي كرادار حساس للغاية  
 ينتهي انشغالي بخصوصيتي وأفكر فقط في السعادة  
 يرتاح دماغي، وتبهت التفاصيل، تمنحني أنوثتي إجازة فعلية من إرهاق المهام المتعددة التي  
 تطحن ذهننا نحن النساء- طيلة الوقت  
 أحب الصباح، لاسيما صباحات الجمعة الرائقة، المغلفة بالحب والهدوء  
 أدوب في حالات الخفة الطاغية  
 لو كان يمكنني أن أستلقي هكذا بلا استعادة لحياتي؟  
 تدوب مساحتي الشخصية في الفضاء إلى الأبد  
 يتحرر جسدي من فكرة التقديس والاختباء  
 تنطلق روحي بلا عوائق معلنة عن تمردها  
 لو كانت لنا رفاهية الاختيار  
 كنا سنحتار كثيراً، بين الصباح وزخم الظهيرة  
 بين انتشاء عقولنا بالراحة، وانفعال مشاعرنا بالمغامرة  
 الصباح رفيق جيد  
 خصوصاً بعد الثامنة والثلاثين  
 تكتشف علاقتك القوية معه بعدما تفقد الكثير من صباحاتك في حروب وهمية  
 في مشاوير العمل والمدرسة الرتيبة  
 للإسكندرية صباحات أنيقة، مغامرة، وتمتلئ بالمحبة  
 صباحات تنعش الروح.

تأتينا بعض الصباحات بالألم  
تبدو هذه كحقيقة حادة وجارحة  
من يتحدثون عن آلام النضج  
عن معاناة الدماغ عندما نبدأ باختبار الحياة  
عن ارتباك المشاعر والأسئلة المعلقة فوق رؤوسنا إلى الأبد  
كلهم يعبدون نظريات الاضطراب الروحية المقدسة،  
لكنني أحدثك عن أوجاع النضج الحقيقية  
تلك التي تخصنا وحدنا  
تلك التي تربك نظامنا الحيوي في مواعيد ثابتة  
وتشوّه صورتنا عن أنفسنا  
فنميل إلى إخفائها والتعالي عليها  
كيف نتجاوز إحساسًا صريحًا بالألم؟  
لماذا يلزمنا أن نتألم عندما نختبر الحياة دائمًا؟  
لماذا تكون تجربة كالميلاد قاسية إلى هذا الحد مع الأمهات؟  
علمونا «أن التكاثر الجنسي يعتمد على نصف أفراد النوع فقط، في عملية تدميرية للنوع نفسه»  
كانت دروس الأحياء بهذه السذاجة الوقحة  
تمنحنا صكًا بأننا ضحايا النوع البشري كله  
في جملة مغلفة بالسطحية، ولا تصمد أمام أي من توجيهات المجتمع اليومية لنا  
نتجاهلها تمامًا  
نختبر الوجع مرارًا  
ونرغب بالأطفال، ثم ننجبهم في طقس انتحاري مهيب  
يقابله الجميع بالثناء وتعليق المزيد من المهام الشاقة في رقابنا المائلة أصلاً  
ثم نعود لنكتشف الصباح  
بمتعة كبيرة  
كقطط عبيطة  
ننسى الألم!

أحياناً تجذبنا فكرة التغيير، نميل إلى اختبار طعوم جديدة، وروائح مختلفة، نحاول أن نغير شكل علاقاتنا بالأشياء والأشخاص، نتخلى عن أشياء لازمتنا طويلاً، ونستبدلها بأخرى جديدة لانعرف حتى طريقة استخدامها!

أحب من حين لآخر أن أمزج ماء الشرب بماء الورد أنتعش من رائحة الورد التي تملؤني بينما أرفع الماء إلى فمي وتغويني بشدة فكرة أن وردة ما محبوسة بداخلي الآن بشكل حقيقي لا مجازي

أشمها وأستطعم رائحتها وأتخيل حركتها داخل تجويف جسدي أحتفظ بجرعات الماء في فمي قليلاً وأبلعها ببطء أفضلها باردة قدر الإمكان، تجعل البرودة طعم الورد جلياً وصريحاً كما أحبه كما أتمكن من ابتلاعها بكل البطء الذي يناسبني وردة أخرى غير جدتي التي أحتفظ بها بشكل ما- داخلي أيضاً لكنني لا أستطيع أن أحدد مكانها

أجدها أحياناً تسألني عن أمي، وحيدتها التي تركتها في رعايتي منذ مارس ١٩٨٦ أوصتني جدتي في صباح الجمعة أن أنتبه لابنتها الوحيدة حتى تستطيع هي أن تقابلها في يوم ما

وتركت في حلقي طعم ماء الورد والصبار الذي فاحت رائحته منذ زيارتي الأولى لقبرها كما علفت بي روائح الغسل، وعكرت صفو المنزل طويلاً بعد سبعة وعشرين عاماً قررت أمي أن تلحق بوردة لكن أي من روائح الموت لم يطنني هذه المرة

احتفظت بقدر كبير من ماء الورد في فمي ورحت أبتلعه بهدوء شديد بينما ينثرون روائحهم بالخارج على جسد أمي

كانت أمي تحب النظام جداً، اختارت لنفسها يوم الجمعة أيضاً، لتتشابه طقوسها مع وردة

تأكدت من دقة أمي عندما جاء ٢٠١٤ عاماً مطابقاً لـ ١٩٨٦ ليتماثلا على جانبي الأفية كخط الأعداد الطويل الذي نتعلم عليه أصول الجبر بذراعيه المفرودين حول الصفر بامتداد الـ(مالانهاية)

جاء مطابقاً لكنه خالٍ من وردة وفاطمة

لأبدأ فيه نضجي بلا حماية من أم!

حتى إنني فطمت من التصاقي بطفلي في بدايته للمرة الأولى بعد سبع سنوات من الارتباط الجسدي والدائم بيننا

شهد يناير منه رحلتي الأولى خارج مصر  
حيث أشاهد عالمًا لا يعرف أي منا عنه شيئاً  
لكنني اصطحبت معي ماء الورد  
لأكتشف أوروبا وصقيع يناير في بريمن من خلال طعم أعرفه  
ورائحة تسكنني!

أفتح عيوني المغلقة على اتساع الصباح  
ليملأها الضوء الأبيض  
أفكر، هل يكون النور ملوناً بينما أراه أنا بالأبيض في الصباح؟  
تقول الطبيعة إن الضوء ملون  
تعطينا قوس قزح لننسج حوله الأساطير  
لنكتشف أن الأساطير في الأصل حقائق لم يعترف بها!  
ففي نهاية النور يختبئ الأقزام وجرات الذهب فعلاً  
لكننا نخطئ رؤية الأبيض والأسود، ما يفترض بهما أن يكونا الأكثر وضوحاً في الكون  
نحن لا نعرف أن ما يصل عيوننا من ضوء يحدد لنا بدقة ما نراه  
فتتوارى الألوان في الأبيض  
ويظهر الأسود من رؤية كل ما حوله  
نحن -إذا- لا نرى الأسود حقيقة  
لماذا إذا نصاب بكل هذا الاكتئاب في الظلام؟  
نحن كما تقر القوانين- نرى فعلياً ما لا نراه!  
ونغلف الاختلاف بين الألوان السبعة بالأبيض حتى لا نرتبك في الرؤية  
الطبيعة تكشف لنا هشاشة البشر  
وغياب عيوننا  
نحن الذين عشنا نتباهى بتركيبنا المعقد، وأدمغتنا الذكية  
وحاكيها في كل ما نصنعه من أجهزة صناعية  
تستلهم الذكاء البشري  
وتشعر بالفخر عند وصفها بال- Smart devices!  
أكتشف أن كل ما أعرفه يتحدد باختيار الضوء وانعكاسه، ونسبة ما يمتص منه وما يسمح له  
بالمرور لعيني

هل تغيرنا اكتشافات الصباح؟ وقوانين الطبيعة؟

أم أننا سنبحث عن الذهب في نهاية المطاف كجائزة كونية لنا عن احتمالنا لكل هذا الاضطرار في حياتنا؟

لا شيء يساوي اكتشاف الأصدقاء القدامى  
 ذلك أنك تعيد جزءاً من نفسك معهم  
 ما يضمن أنك ستكرر نسيانهم مجدداً!  
 نحن ندمن لعبة التكرار  
 نجد فيها مساحات من الألفة  
 وتغذيها الاكتشافات المعادة  
 مثل أن تصحو في صباح الجمعة  
 فتجد أن الشارع يتخلى عن صورته المعتادة  
 اختفى الباعة وحيواناتهم الأليفة  
 وسكنت المحال بعد أسبوعين من العمل الدائم حتى في أيام الآحاد؛  
 الأثاث سلعة رائجة دائماً قبل المناسبات العامة  
 يحب الناس أن يستندوا بتواريخ أفراسهم إلى أوقات سعيدة عند الجميع  
 يضمنون بذلك بهجة خالصة لهم في أيامهم الخاصة  
 يميلون إلى تكرار السعادة في ذات الأيام المتفق عليها  
 لا يعيهم أننا في بلد تحسب أعياده الرئيسية بالتقويم القمري  
 بينما سينفلت تاريخ سعادتهم مع التقويم الميلادي - الرسمي للبلاد أيضاً  
 هم يبحثون عن شيء معتاد  
 شيء مسموح له بالتكرار  
 بأريحية كاملة  
 يحتاجون إليه لتتوازن حياتهم  
 فبينما نمج نحن تكرارنا ومللنا  
 ونبحث عن المغامرة  
 تنمو بجانبنا حدائق من الفرحة مروية فقط بماء التكرار المصفى.

المسافات إجمالاً خادعة  
يعتمد قياسها على تقديرنا  
تلك المهارة التي غالباً ما نفتقدها  
ونرتجل فيها بغباء  
فنفشل في تعلم القيادة  
أو نصطدم بكل ما نراه  
لا نستطيع أن نتجاوز شيئاً بدون احتكاك  
يؤذينا ويؤذيه  
العبرة  
بمرونة قلوبنا ورؤيتنا  
تلك التي تسمح لنا بالمرور  
دون الاعتماد على المرايا  
لننجو مؤقتاً.

أدين للوحدة بالكثير  
 باكتشافات الصباح الجميلة  
 بارتكاني على حكايات ناتئة لتوها من جذع شجرتي العجوز  
 أدين للوحدة بك  
 أنت كثرة طيبة لغربتي الطويلة في مدينتي الأحب  
 حيث تستعيد صباحات الجمع رونقها وكلاسيكيتها  
 ينتشر الباعة مجدداً تحت شرفتي  
 وأفكر أن بالأمور المألوفة دهشة غائرة أيضاً  
 تلتقط عيوننا صورة جديدة لما نراه في كل مرة  
 تهبط الصور ببطء في داخلنا لتتطبق على سابقاتها  
 مكومة أثراً أعمق في كل مرة للمشاهدات المعتادة  
 يذكرني هذا بالأصدقاء  
 برحلتنا اليومية في اكتشاف الناس  
 وأميل إلى تخيل صور الأصدقاء في داخلي كـ (بازل) غير مكتمل  
 أستكمل ترتيبه على مهل  
 بينما تتضح الصورة شيئاً فشيئاً لأعرفهم بشكل أقرب  
 لكن اللعبة لانهائية  
 تتغير كلما أضفت قطعة صغيرة  
 أو ربما نتغير نحن  
 تختفي قدرتنا على الجدل، ونحتاج إلى الهدوء  
 فنكتشف الوحدة من جديد  
 وندين لها بالكثير.

يبدو العالم كمكان مثالي للاكتشاف  
 هناك الكثير من الـ(كل شيء)  
 مثلاً في زاوية الشارع العتيق ينمو مطعم جديد  
 يبدو من الخارج ذا نمط استهلاكي معتاد  
 مطعم آخر لسلسلة شهيرة نعرفها في الإسكندرية  
 كان المكان في الماضي صالة شهيرة للشاي  
 لا أعرف تحديداً كُنه صالات الشاي، لكنها كانت صالة واسعة وعتيقة، تستطيع أن تجلس لتطلب  
 المشروبات وبعض الحلويات أو المخبوزات كقطور مثلاً  
 كانت ملاحظتي الأولى على الصالة الشهيرة، ذات الاسم التاريخي الرنان أنها تفصلك عن الصباح  
 تدخل لتجد أن الليل يحتضنك مباشرة، في التاسعة صباحاً!  
 يقولون إن إدوار الخراط كان يحب الجلوس فيها  
 ومن قبله شاعر المدينة، الشيخ الذي أرقق المدينة ومع ذلك ظلت تجله وتعتبره صوتها الناصع  
 كان كفافيس يسكن بالقرب من هنا، فقط يستيقظ ليغسل وجهه ويدخل في ملابسه ليمشي خطوات  
 قليلة ويكون هنا،  
 بالضبط غالباً حيث أجلس الآن  
 أتناول شوربة الفراخ بالكريمة وطبقاً من سلطة البنجر والسجق المشوي  
 أستم المدينة وتاريخها وألعب البحر وشارع النبي دانيال بطوله  
 لا شيء يخفف من وحدتك في هذه المدينة المزهوة بصالات الشاي وأبنائها ذائعي الصيت  
 لا شيء غير الصحبة التي تهرب منها على مشارف أربعينياتك  
 تماماً مثل الشاعر الشيخ  
 عليك أن تكون وحيداً لتُجلك المدينة  
 وتفتح قلبها لاكتشافاتك المتأخرة.

صالة التمارين الرياضية  
مشهد أسبوعي جديد  
تتشابه فيه صباحات السبت والجمعة  
تختفي فيه أصوات الشارع والباعة  
وتحتل أصوات الطابات الأذن  
صدى الصوت المصاحب والتابع لكل ما يحدث هنا  
في صالة الألعاب الرياضية أنت مغلف تمامًا بالصدى!  
ضربات الـ(دربيل) المتتابعة بلا هوادة على الأرض  
تعليمات المدربين العالية، الكرات المنصاعة لأيديهم بنعومة؛ بينما تتعثر في أيدي الأطفال كأنها  
أثقل من وزنها الحقيقي!  
أنا لا تورقتي الأصوات  
أكتشف في الكون قشرة جديدة، وفراغًا بين ما كنت أعتقده غلافي الخارجي والعالم، يتردد فيه  
صدى لصوت بلا هوادة  
أنا أنشغل فقط باختفاء الفروق بين الجمعة والسبت  
أنا التي كنت أعلق كلاً منهما على طرفين متباعدين  
وأعتقد أنهما رأس وذيل؛ لا يتقابلان، ويمج أحدهما الآخر!  
لا شيء الآن أمامي سوى الاعتراف أننا كائنات حادة بالفعل  
تغلف الصور خيالنا، بينما تتحرك كل الأشياء بمرونة فائقة من حولنا لتريك اكتشافاتنا الزائفة.

كانت الصحبة أمني الوحيد  
أن نجلس متجاورين في مقعد للسفر  
أن يصحو اليوم ليجدنا هكذا جالسين برؤوس متدلّية وعيون ناعسة  
نضيع يوم إجازتنا الوحيد في اللاشيء  
أن تحكي لي عن ذكرياتك مع الرحلة  
كل رحلة مررت بها، حتى تلك التي كانت تبعدك عني  
كنت أريد أن ألمسك عفواً بينما نتحرك  
أن أختبر إحساساً جديداً معك  
كنت أريدك معي.

القسوة  
اكتشاف مؤلم  
أخيرا!

عليّ أن أعود الآن، ثمّة نقطة تجبرك على الوقوف وتغيير اتجاهك، تكتشفها ببطء، لكنها موجودة دائماً، عليّ أن أعود إلى أن أجد نقطة جديدة صالحة للتفاعل، أنا أوّمن أننا نسير بقوة الكون فعلاً، نتعلق من رغباتنا غير المفهومة، تجذبنا قوة الكون فنمضي بلا رؤية واضحة.

لكل منا الحق في اكتشاف جديد؛  
صوت جديد للعالم لم يسمعه أحد من قبل،  
مشاهدات ملونة خارج الباتة ألوان الطيف التي تحكم حياتنا منذ تفتحت عيوننا لاستقبال حزم  
الضوء المنعكسة،  
لكل منا الحق في خيال مبتكر  
في أن يحبه الله، ويترك له دماغًا صالحًا للعمل،  
لكل منا الحق في أن يعيش  
كاكتشاف أول لفكرة الحياة.

لأنه ليس متاحًا لنا اكتشاف الآخرين ببساطة هكذا، يلزمنا الوقت.  
أن تقع في الحب هو أمر يسهل حصوله على غفلة، لا يرتبط أصلاً بالزمن، ما يرتبط بالوقت هو  
أن تعيش الحب، سعيدًا ومنشراحًا من وجوده الرطب في حياتك الجافة!  
أن نكتشف أحببتنا هو أمر مزيف بالكامل، نحن نحتاج أن نخرج الجميع من دائرة الحب المعتمدة  
حتى نراهم، ونستطيع معرفتهم،  
فالحب إذاً هو رحلة ما قبل الاكتشاف، رحلة المشاهدة، الاستمتاع بما نراه ولا ندرك عمقه،  
كأطفال تلهو في سفينة للفضاء؛ نحن نفرح بالألوان المتتابعة لأزرار لا نعرف وظيفتها.  
أخطأت يوم ضغطت زرًا لا أعرفه، فانقلب الباب في وجهي وانفتحت الحياة  
تلك المليئة بالتفاصيل الجادة؛ العمل والأطفال وبيت العائلة والارتباطات المقدسة  
بينما أنت غارق في الجدية، تفوتك الاكتشافات ويمر الوقت!

ما يتركني في جوف الليل أستعيده في الصباح  
 تركيزي الذي يتداعى آخر الليل  
 بهجة أن أملك وقتاً طويلاً أمضيه في التفكير فيما سأفعله، ولا أفعله!  
 انطفاء النهار التدريجي،  
 كلها أشياء يعيدها الصباح إليّ  
 فأشكره وأمتن كثيراً لعطاياه  
 أحياناً، في صباح مثل هذا تعود إليّ أفكار طيبة  
 مثل أن أسامح العالم على أخطائه العابرة، والمتكررة  
 أن أسعد بانتهااء ألم ما  
 أن أترقب وصول صديق يشاركني الصباح  
 أن أجد من يطهو لي وجبة جيدة  
 بكل هذا الحب الذي أنفقته على الطبخ عمراً طويلاً!  
 تمتلكني فكرة أن الوقت ما زال طويلاً أمامي  
 أستطيع الآن أن أنحرف يميناً أو يساراً متفادية الاستمرار في طريقي الممتد بلا هدف  
 أن أتعلم قيادة السيارات أخيراً!  
 أو أن أقتني سيارة خاصة، أقودها مباشرة نحو البحر!  
 في صباح كهذا ينتظرنني الله أن أشكره  
 وسأفعل بكل بساطة  
 .. أنا أعرف أنني جاحدة بعض الشيء، وأغفل الشكر كثيراً ربما  
 لكنني كما تعلم- أعرف كيف أحب  
 وفي ظني أنها طريقة جيدة للامتنان  
 لصباح الجمعة المختلف  
 لمعرفة أن هناك من يهتمون لأمرني  
 لاحتسار الظلم قليلاً عن أصدقائي  
 أنا يارب- في صباح كهذا أكتشف ما تعنيه البهجة.

كل هذا العمر - يا رب - وما زلت أكتشف الألم باباً عصياً يمنعك عن أقرب أحبائك، يمنعك من الاستمتاع بحياتك القصيرة جداً كنص لا تمتلك الوقت لكتابته، ألم الذاكرة الحاد، عندما نسترجع حكايات لا نريدها فلماذا يا رب - لا نحيا بدون الألم، والذكريات؟! لماذا نعود لاكتشاف الحياة وننشغل بها ونحن نعلم مسبقاً أن وجودنا خطأ منطقي؟!!

أنا لا أكتب عادة عن الأشياء التي لا أعرفها  
لكنني أميل إلى اكتشافات جديدة الآن  
عندما يعبر العمر بوابة الثلاثين نألف أشياء كثيرة  
نسامح الكلمات، ويرق قلبنا لتجارب اعتبرناها منبوذة طويلاً  
نتساءل حول حقائق آماناً بها  
ويملاً اليقين بجدوى الشك عقولنا  
فنتمهل كثيراً بينما ننطق كلمة كـ(أحبك)  
ونندم سريعاً لمعرفتنا بأن البدايات تجلب النهايات لا محالة، نحن الآن نؤمن بالرياضيات أكثر،  
وتهزمنا إجابات الكون الواحدة!  
نفكر مرة ثانية، لماذا يكره الناس الانتحار؟  
أليس إنهاء الحياة بإرادة صاحبها حقاً مكفولاً ببداية الوجود ذاته؟!  
ربما يكون البحر أرحب فعلاً عند الالتحام به للأبد؟!  
أنا لا أتصور نفسي مدفونة في التراب، ولدت في برج هوائي، ورغم أنني عشت حياتي كقطة  
غالباً، إلا أنني ابنة المدينة البحرية بامتياز، أعتبر البحر نهايتي الطبيعية، ربما هو فقط من  
سيردني إلى حقيقتي وينهي وجودي كقطة تخاف السباحة  
أنا أنوي أن أكتب فقط عن أشياء أعرفها!

لست كبيرة كفاية لفرض وصايتي على الصباح  
 ما زلت طفلة بما يكفي لأن تحتويني قلوب من أحبهم  
 لكنني طفلة حزينة، في صباح الجمعة الحزين ذلك الذي أطلعه من شرفتي  
 أفكر أننا نرى الكون من خلال عقولنا، هذا الصباح المسكين ضحية لاعتلال مزاجي واختفاء  
 رغبتني في الحياة!

لا أعرف هل هذا هو الوقت المناسب أم لا، لكنني أعرف أنني أشفق على هذا الصباح  
 أشفق على حيواناته البريئة التي تمر أمامي فأرى دموعها الحبيسة، أسمع خوفها من المجهول  
 الذي تواجهه منذ لحظة دخولها إلى السوق  
 أرى قبلاً كاملاً في البائعين المنتشرين في شارع الخديوي، وأنزعج بشدة من أصواتهم الخشنة  
 القاسية، بينما يفرشون بضائعهم على الطريق  
 أنا أيها الصباح أكتشف أننا ببساطة نعطي الوجود حيويته من أرواحنا  
 أننا نمتلك دولاباً مليئاً بالأزياء، تتقمص تفاصيلنا فيه أدواراً متعددة وتختار ما يناسبها لرسم  
 الشخصية بإحكام بالغ  
 أكتشف أن الكون هو انعكاس مباشر لعلاقتنا بالصباحات  
 وأنني لا أملك حمايتك أو الاحتفاظ بصورة سعيدة لك بينما تطاردني تفاصيلي في أدوارها المتباينة  
 يومياً  
 أنا لا أملك إلا أن أضع سماعاتي لتتسرب الموسيقى لعقلي مغلقة أصوات الشارع بطبقة مغبشة  
 مما أعرفه  
 لا أملك إلا أن أغلق شرفتي في مواجهتك، وأدعي أن الصباح لم يأت بعد.

تستطيع أن تدرك حجم المسافة بيننا من سرعتك في الرد عليّ  
نكتشف مع الوقت أموراً مشابهة  
أننا لا نسمع جيداً ربما، ففتوه الحكايات بيننا وينتشلها المارة بحنان بالغ، يمسخون حزنها  
ويطوونها في جيوبهم من برد نوفمبر  
أن مخزوننا من اللطف يتضاءل بعدد المرات التي استخدمناه فيها!  
أن هناك دائماً سبباً وجيهاً لأن نبتسم في وجه الصباح، وأن نعلق كتاباتنا على خيوطه الواهية  
أن نندهش من التفاصيل، ونكتشف معها كيف يمر الوقت!

بعض الأوجاع محرمة على الشكوى!

في أي قاع تربينا حتى نحرم الألم، ونصنّفه تبعاً لسببه أو مكان وجوده؟! يشكو الجميع من آلام المفاصل، نعتبرها شيئاً طبيعياً عندما نتقدم في العمر، يسمح لنا التقدم في السن بلائحة طويلة من الآلام، وحظ كبير من الشكوى، والاحترام لكننا، حتى والحال هكذا لا بدّ أن نسب ألماً عادياً، مرضاً يسمح به المجتمع، لا يحق لأحد أن يشكو من الوحدة إلا لنلوم أقرباءه أو أبناءه على وحدته هل سمعتم شاكياً من وحدته وسط العائلة يأخذه أحد على محمل الجد؟! هلا فتحتم عنابر النساء الموصدة على الألم يوماً لتسمعوا عن آلامهن مرة الجميع يقدر تجارب الولادة، يقفون وجلين ويرسمون علامات التقديس للآم التي يجب أن تكون سعيدة

من سن قانوناً يلزم الأم بإخفاء ألمها؟ بوجود الامتنان للطفل القادم؟ بحصولها على لقب الأم السعيد؟ من جرم الصراخ وصب اللعنت على الجميع، هذا حقهم بالمناسبة!

من وضع آلام النساء عبر السنين في قائمة الممنوعات؟ من استهتر بالتفاصيل؟ بحقهن في الانفصال عن العالم أحياناً؟ العالم الذي لا يستطيع توفير السلام لهن في كامل صحتهن وعافيتهن!

قرأت اليوم شهادة صغيرة لامرأة عابرة جنسياً، مصرية لحظها التعيس، عانت من الإساءة منذ الثالثة عشرة من عمرها، يرى الجميع فيها متمرّدة على النعمة، ولدت بجسد ذكر فكيف ترفضه وترغب في الانتصار لأنثى أيّاً كانت؟! حتى لو كانت نفسها؟!!

هذه القصة المؤلمة تلخص ما نحن فيه، لا تنتصر لأنثى أيّاً كانت، ولا تسمح لها بالشكوى، وفي الأغلب -احترازاً- سنسم النساء بالشاكيات أولاً

من تريد أن تكون امرأة، عليها أن تعبر من بوابة الألم، المسكوت عنه أو المتوارى، عليها ألا تلمح به حتى، وطبعاً لا يحق لها أن تكتبه في طلبات الإجازة!!

نحن نكتشف الألم، نكتشف لماذا يستهين الكون بأجساد النساء، ونكتشف لمن تتم صناعة الخديعة، وترويج الشائعات!!

ليس في بالي شيء يذكر، مجرد رغبة غائمة في النوم، ومحاولة لهضم معنى الموت المفاجئ!  
لماذا تنقلب حيواتنا مع كل اختبار شعوري جديد، ثمة الكثير مما نعرفه لكنه غير كافٍ للحظات  
كهذه، كل تجربة تأتي بدهشتها الصافية كأننا لم نمر بها من قبل؟!  
هل تتسبب توقعاتنا المفرطة بعدم تكرار التجارب في هذه الفجوة المنطقية؟ أم أننا لا نملك مع كل  
تجربة إلا اكتشافاً جديداً؟!  
أن نقر أخيراً أنه لا خبرات متشابهة إلا في أساطير القطيع، خبراتنا الفريدة، واكتشافاتنا الشعورية  
هي أمور خاصة جداً وغير قابلة للتكرار؟!  
هل ستكون حياتنا بهذه الحيوية لو لم نؤمن في كل مرة أنها المرة الأولى؟  
لو لم نر في كل شخص تجربة طازجة؟!  
لو لم نشعر في كل موت بالفجيعة?!

تؤمن لنا الحياة الكثير أحياناً؛ لكننا نرفضها جملة وتفصيلاً

لا عن عيب فيها فقط

بل لأنها حياة مستعارة

استخدمها آخرون مراراً ثم ألقوها في سلة مهملات تصب مباشرة في أرواحنا

نحن لا نريد سوى حياة طازجة، حتى لو كانت حياة ناقصة أو مستحيلة

حياة نضع بصمتنا عليها كسر أبدي، لمرة واحدة وأخيرة

ليست هذه رغبة في الامتلاك

هي بالأدق رغبة في الاكتشاف والمتعة

رغبة خالصة في حب ذواتنا.

كل الاختيارات صحيحة  
لكن كل الاختيارات مقيدة، بطريقة ما  
أتعلم على مشارف أربعيناتي أن الحياة ليست بالحدة التي ظننتها دومًا  
المرونة تعب في القلب يتسرب إلينا بفعل السن  
فنرى الأمور بشكل مغاير  
كل مرونة نكتسبها تعطي اختياراتنا بعدًا جديدًا،  
نرى من زاوية أوسع؛ فتختفي التفاصيل الدقيقة  
ويرهف إحساسنا بالخيوط التي تربطنا بحزمتنا من الاختيارات، نرى الوصلات الوهمية كخطوط  
أجهزة الإنذار المخفية كما نشاهدها في الأفلام  
تبدو كل الأشياء ساكنة وراضية غير رغبة مجنونة في نفسي أن أقطع هذه الخطوط الآن من  
منتصفها تمامًا ونغرق جميعًا في ضجيج الأصوات.